بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ:30/05/2008 الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

((سلسة قوانين القرآن))

((خاتمة سلسلة قوانين القرآن))

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونسترشده ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله خير نبي اجتباه وهدى ورحمة للعالمين أرسله ، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره ،اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعة الله .

ثم أستفتح بالذي هو خير يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل :

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137) ﴾[آل عمران]

وقال الله تعالى :﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43) ﴾[فاطر]

نحن في الخطبة الخاتمة العشرين من سلسلة ((السنن الإلهية في القرآن أو قوانين القرآن)) .

ومرة جديدة و أخيرة من على هذا المنبر القرآن فيه قوانين تحكم الكون كله، فيه نواميس، فيه سنن إلهية لا يخرج عنها عبد من العباد، لا تحابي ولا تتغير ولا تتبدل ولا يستثنى منها رجل من قدم مقدماتها نال نتائجها .

تحدثنا لماذا هذه السلسلة، وتكلمنا عن السنن الإلهية في التغيير، وعن السنن الإلهية في النصر ،وعن السنن الإلهية في الابتلاء، وعن السنن الإلهية في الهداية والضلال، وعن السنن الإلهية في الإيمان والعمل الصالح، وعن السنن الإلهية في الذنوب والسيئات، وفي الظلم والظالمين، وفي الحياة الطيبة والمعيشة الضنك، وفي تحصيل الألفة والمحبة، وعن قوانين الله تعالى في الطيب والخبيث ، و عن قوانينه في رزق العباد، وفي تكليف العباد، وفي البقاء للأنفع، وفي ﴿ ooَالصُّلْحُ خَيْرٌ oo (128) ﴾ [النساء]، وفي ﴿ oوَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) ﴾[طه]، وفي قوله ﴿ oوَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ o(43) ﴾[فاطر]، وعن السنن الإلهية في إهلاك الأمم....واليوم نصل إلى نهاية هذه السلسلة من الخطب وهكذا...

يا أيها الإخوة كل شيء له بداية له نهاية، الخطب لها نهاية، والخطيب له نهاية، والسامع له نهاية، وحياتك لها نهاية، من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت, آت .

لما قربت وفاة المأمون الذي حكم شرق العالم وغربه جعل يمرغ خده بالرماد على الأرض ويقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه .

أما بيوتك في الدنيا فواسعةٌ فليت قبرك بعد الموت يتسع

وعن الحسن قال: ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح وجوه الناس خمس مرات فمن رآه على لهوٍ ولعبٍ ومعصية حرك رأسه وقال: مسكين هذا العبد غافل عما يراد به ، ثم يقول: اعمل ما شئت فإن لي فيك غمزة أقطع بها وتينك .

فيا أيها الإخوة بادروا بالأعمال الصالحات قبل أن تفجأكم أمورٌ سبعة، أسرعوا بالأعمال الصالحات الوقت سريع، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غناً مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر .

عنوان خطبة اليوم : **التطبيق العملي لسلسلة السنن الإلهية في القرآن قوانين القرآن .**

ما المطلوب من كل أخ حضر معنا أو كل أخت حضرت معنا في هذه الخطب العشرين أو سمع شيئاً منها أو سيسمع تسجيلاتها أو يطلع على مادتها ؟

ماذا أريد منكم أيها الإخوة بعد ستة أشهر خصصناها على هذا المنبر لهذه السلسلة وسبقتها ستة أشهر من التحضير لها ؟

مع شكري الكبير ودعائي و امتناني لمزيد من أربعين أخ كريم ساعدوا في تحضير هذه الخطب يحضرون معنا عادةً في يوم الجمعة.

المطلوب منا أمران اثنان أخبركم بهما بعد أن أعرض بين يديكم أمرين اثنين :

الأمر الأول : لما عرفنا السنة الإلهية قلنا: هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناءً على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله تعالى وأنبياءه.

لكن ماذا عن وقت ظهور السنة الربانية وتحققها.

يعني إذا كانت سنة الله في الظالمين أنه سيهلكهم متى يهلكهم ؟

إذا كانت سنة الله تعالى أنه يستخلف الذين آمنوا وعملوا الصالحات متى يستخلفهم ؟

إذا كانت سنة الله تعالى في المكر السيئ أنه يحيق بأهله متى يحيط؟

متى تظهر السنن؟

وقت ظهور السنن وتحققها مرجعه إلى الله تعالى صاحب الأمر والنهي فقد يبدو للناس أن أسباب تحقق السنة قد انعقدت ومع ذلك لم تظهر النتائج.

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (47) ﴾[الحج]

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا oo(59) ﴾[الكهف]

لكن قال بعدها: ﴿ ooوجعلنا لمهلكهم موعداًoo(59) ﴾[الكهف]

قال أحد العلماء: إنه مما يخدع الناس أن يروا الفاجر الطاغي أو الملحد الكافر ممكناً له في الأرض غير مأخوذ من الله تعالى، ولكن الناس إنما يستعجلون لأنهم يرون أول الطريق وأوسطه ولا يرون نهاية الطريق لأن السنة تستغرق وقتاً طويلاً .

سبق أن أخبرتكم قصة تاجر سوق مدحت باشا من على هذا المنبر ومفيدٌ الآن أن تعاد لأن فيها مغزىً كبيراً في هذه النقطة .

قبل أربعين عاماً أو يزيد نزل باكراً إلى متجره، صعد إلى سقيفة المحل التي جعلها مكتباً لأوراقه وأموره الخاصة، وبينما كان يرتب أوراقه سمع صوت صراخٍ ومشاجرةٍ أمام محله في السوق، أشرف برأسه ليرى ما يحدث، فإذا بشابين يتشاجران ويتدافعان أخرج أحدهما مسدساً وأطلق عياراً نارياً في الهواء، فإذا بالطلقة النارية تصيب رقبة هذا التاجر فيقع أرضاً، لما حمل إلى المشفى علم أن الطلقة اخترقت طرفاً من النخاع الشوكي لتصيب التاجر بشلل رباعي غير ردود، حزن جيران التاجر كاد أحدهم يفقد صوابه ما ذنب هذا المسكين؟

ما علاقته بما جرى ليحدث له ما حدث؟ ما هذا الظلم؟ أين عدل الله في الأرض؟

ذهب الجار لأحد الشيوخ ليقص عليه القصة ويسأله قال الشيخ: لا تسرع في إصدار الأحكام فأنت لم ترى إلا مشهداً من مشاهد القصة ولعل للقصة مشاهد أخرى لم ترها ولم تعلمها، لعلك عاينت نهاية الطريق ولم تعاين أوله وأوسطه .

يروي الشيخ بعد أشهر حدثه أحد معارفه قال: ما أعظم عدل الله أحد تجار سوق مدحت باشا خلف له أخوه أيتاماً في حجره مع مال لهم، أنفق العم عليهم حتى كبروا.. ولما بلغوا مبلغ الرجال طالبوه بمالهم، فدفعه إليهم منقوصاً مبلغاً يساوي زمن منزل في تلك الأيام فلما سألوه قال: إنه لن يعطيهم إلا ما دفع وإن كان لهم شيءٌ آخر فليأخذوه من المحاكم ...

وسطوا أحد شيوخ البلد فطلب إليه الشيخ دفع حقهم لهم فأبى ...

قال الشيخ بعد أن تعنت العم قال لأولاد أخيه: أرى ألا تشكو عمكم إلى المحاكم حفاظاً على اسم عائلتكم ليس حسناً أن يتحاكم العم وابن أخيه أمام أقواس القضاء إذا أردتم الشكوى فارفعوا شكواكم إلى الله تعالى، ويبدو أن الأيتام فعلوا ورفعوها إلى القاضي الذي لا يظلم عنده أحد ...

تابع قريب الشيخ الذي يحدث الشيخ يقول: قبل حين أصاب هذا التاجر المعتدي على الأيتام عيارٌ ناري في نخاعه الشوكي أوقعه أرضاً مصاباً بشلل رباعي .

لما سمع الشيخ الحديث ذهب إلى جار التاجر الذي سابقاً جاء إليه ليسأله أين عدل الله تعالى؟ وما ذنب هذا التاجر؟ ليخبره بأن ما رآه هو كان المشهد الأخير ونهاية الطريق بينما المشاهد الأولى وبداية الطريق وأوسطه هو ما حدثه به قريبه وجاء وقت ظهور السنة الإلهية في الظلم والظالمين.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ ٥٥(٦١)٥٥﴾[النحل]

لعلهم يعودوا، لعلهم يرجعوا، لعلهم يفهموا شيئاً من رسائل تأتيهم مباشرة أو غير مباشرة.

﴿ ooولكن يـــؤخرهم إلى أجـــل مســـمى فـــإذا جـــاء أجلهم لا يســـتأخرون ســـاعةً ولا يستقدمون(61) ﴾[النحل]

قال أحد العلماء : السنة الربانية قد تستغرق وقتاً طويلاً لكي ترى محققة في حين أن عمر الإنسان محدود، ولذلك فقد لا يمكنه رؤية السنة متحققة بل قد يرى الإنسان جانباً من السنة الربانية ثم لا تتحقق نهايتها في حياته مما قد يدفعه إلى عدم إدراك السنة أو التكذيب بها .

وهنا يكون دور التاريخ في معرفة أن السنة الربانية لا بد أن تقع لكن لما كان عمرها أطول من عمر الإنسان بل ربما أطول من عمر الأجيال فإنها ترى متحققة من خلال التاريخ الذي يثبت أن سنة الله تعالى ثابتة لا تتبدل . ﴿ ooسُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (62) ﴾[الأحزاب].

إذا قال الله تعالى لنا ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132) ﴾[طه]، مئة بالمائة العاقبة للتقوى لا تذهب يميناً ويساراً لن تكون العاقبة إلا للتقوى ...

إذا قال: ﴿ . .الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83) ﴾[القصص] إياك أن تذهب نحو الفجور والمعاصي مستحيل أن تكون العاقبة لك لأن القرار والقانون والسنة و الناموس الذي يحكم هذا الكون صدر من زمن بعيد أن العاقبة للمتقين .

فالأمر الأول الذي أحببت بيانه لكم : أن عمر السنن الإلهية ربما كان أطول من عمر الإنسان بل من عمر أجيال لكن لا مناص من تحقق السنن فهي سنن ثابتة مضطردة عامة لا تتبدل ولا تتغير .

الأمر الثاني الذي أردت أن أخبركم إياه قبل أن أقول ما المطلوب منا :ما حدثتكم به على هذا المنبر من السنن لم يكن كل السنن الإلهية المودعة في القرآن الكريم بل كانت هذه الخطب العشرين نماذج أمثلة على السنن الإلهية، وهناك سنن إلهية أكثر بإمكانكم أن تبحثوا عنها في القرآن وأن تدرسوها، ففي القرآن سنة التمكين لم نتحدث عنها، وفيه سنة الاختلاف لم نتحدث عنها، وفيه سنة التدافع، وفيه سنة العز والذل ، وفيه سنة الأسباب والمسببات، وفيه سنة الإملاء والاستدراج، وفيه سنن أخرى ...ما حدثتكم عنه كان أمثلة ونماذج .

الآن ما المطلوب منا بعد هذه الخطب ؟

إذا مشينا بهذين الأمرين المطلوبين منا استفدنا من ستة أشهر مضت، إذا لم نمشي كنا نحن نقطع شيئاً من أوقاتنا مع بعضنا البعض..

إذا خرجت بنتيجة أن تعمل بما ستسمع من هذين الأمرين استفدت من خطبة الجمعة ...

إذا خرجت بنتيجة أنك لا تعمل أو لم تفكر أن تعمل الحق يا أيها الإخوة الوقت يمر وفقط ويبقى حال المسلمين على ما هم عليه..

لن يتغير ما بالمسلمين حتى تتغير أنت وحتى أتغير أنا ...إذا تغيرت أنا سيتغير كل العالم الإسلامي ...

إذا تغيرت أنت في طريقة حضورك لخطبة الجمعة صدق بأن ما يحدث للمسلمين سيزول لأن التغيير يبدأ من عندك كما سبق في سنة التغيير .

المطلوب منك أمران :

الأمر الأول : أن تقرأ القرآن قراءة واعية باحثاً فيه عن السنن الإلهية في القرآن قوانين القرآن .

أقترح أن نبدأ من الآن بقراءة ختمة واحدة متأنية واعية هادئة، واحمل بيدك اليمين قلم رصاص وابحث في الآيات عن السنن، إذا وجدت سنة إلهية ضع خطاً تحتها على المصحف على مصحفك الخاص ارسم دائرة على كلمات السنة علمها، ثم انقل هذه السنة إلى دفترك الخاص في قائمة أطلق عليها اسماً السنن الإلهية في القرآن، اكتب هذه السنن وضعها عندك على المكتب ...

أول وظيفة اقرأ ختمة واحدة أرجوك لا تكثر من الختمات لكن مع القلم بيدك اليمين وضع خطوطاً على المصحف لتسجل هذه السنن .

حفاظ القرآن يا أيها الإخوة لهم مصاحف خاصة كل واحد له مصحفه الخاص . افتحوا مصاحفهم المصحف مليء بالعلامات وبالخطوط وبالدوائر وبالكلمات، دارسو القرآن الكريم لهم مصاحف خاصة مصحفهم مليء بالخطوط والدوائر والإشارات والكلمات على الهامش ..

الآن اجعل لنفسك مصحفاً خاصاً وضع عليه هذه الخطوط التي فيها السنن الإلهية في القرآن وهذه هو المطلوب الأول.

المطلوب الثاني : اعمل ما استطعت بما تقرأ لتسعد وتسعد .

ما استطعت لكن تحرك لا تبقى في المكان الذي أنت فيه فإن القرآن الكريم رسائل من الله تعالى. كان السلف يقرأها بالليل ويعمل بها بالنهار وإنك لن تجد أصدق من الله حديثاً .

سئل أعرابي عن إعجاز القرآن أين نجد إعجاز القرآن ؟ فقال : الصدق المطلق.

القرآن صدق مطلق فإذا عملت به، ببعضه عملت بصدق مطلق، وإن أحسن ما تزين به المصحف العمل به .

قال أبو حذيفة : يا أهل القرآن زينوا القرآن بأعمالكم .

اقرأ القرآن الكريم باحثاً عن قوانينه اعمل ما استطعت بها لتسعد وتسعد .

يا أيها الإخوة بهذا تنتهي سلسلة خطب السنن الإلهية في القرآن أو قوانين القرآن .إن كنت أحسنت فمن الله تعالى وإن أسأت فمن فهمي ونفسي وأستغفر الله العظيم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين , أستغفر الله ...